الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

800/131/1/1

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

٤١/٢٧٣

الواقع الإجتماعي في رواية زقاق المدق لنجيب محفوظ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس، في اللغة والأدب العربي
تخصص: الأدب العربي

إعداد الطلبة:
نجار آمنة.

إشراف الأستاذ:
حيدر اسمهان

السنة الجامعية: 2012/2011

مقدمـة:

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على حبيبه و مصطفاه إمام الدعاة واسوة المعلمين الهداة، و رحمة الله المهداة و نعمته المسداة سيدنا محمد و على آله الأطهار و صحبه الأخيار و التابعين الأبرار و من تبع هداه وسار على نهجه المبين و سراطه المستقيم بإحسان إلى يوم الدين.

لطالما كان الواقع الاجتماعي يمثل حلقة مهمة في حياة المجتمعات العربية، من خلال القضايا المتعددة التي تدور فيه، و التي أسهمت الرواية في تبيان هذه المشكلات و طرح تلك الأفكار على أرض الواقع، وهذا ما مثل سبب اختياري للموضوع لمدى أهميته البالغة في أدبنا العربي، ودوره الفعال في إبراز قضايا المجتمع التي تعددت الأسباب في ظهورها، حيث مثلت إشكالية عميقة و مهمة في المجتمعات العربية عامة و المجتمع المصري بشكل خاص، و تحديدا في فترة الاستعمار البريطاني الذي حاول طمس الهوية العربية في هذا البلد الإسلامي.

و على هذا الأساس ارتأيت الاعتماد على المنهج الاجتماعي في تصوير الواقع الذي كان يعيشه المجتمع المصري، و تمكنت من إبراز مدى التزام الكاتب بقضايا لمجتمع الذي ينتمي اليه.

و في سعي إلى الإلمام بالجوانب المهمة و البارزة في هذا الموضوع المتعلق بصورة الواقع الاجتماعي في الرواية العربية، و من خلال نظرة الروائي الكبير **نجيب محفوظ** لهذا الواقع، قد اتبعنا المراحل الآتية في هذا البحث:

حيث عرضنا بداية مدخلا اشتمل على على الأثر الكبير للواقع الاجتماعي عند نجيب محفوظ، الذي جسده هذا الأخير في رواياته الكثيرة مبرزا عددا وافيا من القضايا الاجتماعية بكل أشكالها واصفا أسباب حدوثها و النتائج المترتبة عنها، و مشيرا إلى مدى خطورتها داخل المجتمع.

ثم أردفنا هذا البحث بفصل أول تضمن مبحثين اشتمل الأول على ماهية الرواية العربية بشكل عام، ودلالة لمصطلح الرواية لغة و اصطلاحا، و طرحنا بعض آراء النقاد، و الدارسين العرب و

الغرب حول مفهوم الرواية العربية، و أبرز النقاط التي تقوم بمعالجتها، كما مثلنا ببعض أعلام الرواية العربية، و أهم نتاجاتهم الأدبية.

كما ضم هذا المبحث بعض أقسام الرواية العربية من بينها: الرواية التاريخية و التعبيرية، و قمنا بالتركيز على الرواية الاجتماعية، لأنه تعد أساس الدراسة التي نقوم بها مستشهدين ببعض النماذج من الروايات التي تعالج تلك القضايا الاجتماعية، و أنهينا المبحث الأول بأبرز الخصائص التي تتميز بها الرواية الاجتماعية، و من ثم انتقلنا من هذا الفصل إلى المبحث الثاني الذي تصمن طبيعة الحياة الاجتماعية في عصر تجيب محفوظ و الوضع الذي كان يعيشه و مدى الأثر الذي تركه فيه، و تبين لنا تأثره بذلك الوضع و التزامه به.

و هذا ما دفعه للسعي إلى لفت انتباه الرأي العام العربي، لحالة المجتمعات العربية مستعينا بمجتمعه المصري كنموذج حي يعيش معاناة مستمرة و إشكالات عميقة و مستعصية، والنتائج المترتبة عنها.

هذه الإشكالات التي لا تتوقف عند فرد أو مجتمع بل هي تلحق كل المجتمعات عامة العربية بل وحتى الأجيال القادمة.

و ختمنا هذا المبحث بالحديث عن دور الرواية العربية في مهمة الدفاع عن صوت الشعب، و البحث عن حريته و استقلاله مشيرين إلى مدى مواكبتها لتطورات المجتمعات العربية.

وبعد ذلك تلونا هذا البحث بفصل ثان بدأناه بملخص عام لأحداث رواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ،التي كانت مصرحا تعرض من خلاله أهم القضايا التي عانى منها المجتمع المصري تحديدا في فترة الاستعمار الغربي.

و من ثم أشرنا إلى دلالة العنوان، و دوره في مساعدة القارئ الغوص داخل الرواية و الولوج إلى طياتها، و قد رافق هذا العنصر آخر تمثل في دلالة المكان و قيمته الكبيرة في الرواية، وخاصة بالوصف الدقيق الذي تميز به أسلوب نجيب محفوظ الروائي.

و أتممنا هذا الفصل بطرح جملة من القضايا القيمة التي دارت في ثنايا الرواية وأهم قضية متمثلة في قضية الجنس التي طرحها الأديب نجيب محفوظ بشكل جريء و تعد نقطة انعطاف كبيرة ومهمة في مسار الرواية العربية.

وختاما لهذه الدراسة وضعنا ملحقا تضمن سيرة حياة نجيب محفوظ و أهم المحطات التي مر عليها في نشأته و طفولته، و مراحل تعلمه، ومدلى إسهامه الكبير في إبراز أهمية الرواية العربية في كل أنحاء العالم، و الرقي بها في مصاف العالمية الأدبية و الثقافية.

و في الأخير أضفنا خاتمة جمعت أهم النقاط التي تطرقنا إليها في هذا الموضوع مع إبراز ما وصلت إليه الرواية من نتائج في طرح هذه القضايا الاجتماعية.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا البحث تتمثل في مدى حساسية هذا الموضوع و القضايا التي تناولها و التي تعد انزياحا في مسار تفكير واعتقاد المجتمع العربي فهو مجتمع شرقي محافظ على العادات و التقاليد.

و قبل أن نختم هذا الكلام نتوجه بالحمد و الشكر أولا وأخيرا لله عز وجل على فضله و منته علينا بأم هداما إلى الإيمان وسقانا إلى هدي القرآن" يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هدكم للإيمان" (الحجرات، الآية 17)

ثم أتوجه بالشكر لأستاذتي الكريمة المخلصة في مهمتها الأستاذة " حيدر اسمهان"، و إلى كل من علمني حرفا سواء من قريب أو من بعيد و إلى جميع أصدقائي المحبين.

و أخيرا أسأل الله التوفيق و أن يجعل عملي هذا خالصا.

مدخل: أثر الواقع الاجتماعي في نتاج نجيب محفوظ

نجيب محفوظ روائي عربي كبير، تسلم أمانة الرواية المصرية و عبء الرواية العربية منذ الأربعينيات، لقد حاول أن يكتشف الصيغة الجمالية الصحيحة باختياره شتى لأطر الفنية، و المذاهب الفكرية في أرض الواقع المصري و هذا بـ " عرض مأساة الإنسان في مجتمعه قبل ثورة 1952...

كان قبل الثورة فنانا قلقا، لأنه كان يحس بمأساة الفقراء، ويحس بالقلق النابع من وضعية الإنسان المسحوق وظل **نجيب محفوظ** بعد قيام الثورة المصرية موجودا لا حبا في الاستقرار الذاتي و لكن لأن بينه و بين الجماهير رهانا على المستقبل لتحقيق المثل الأعلى"

كما استقى شكل أدبه و مضمونه من الواقع المصري، فقد التزم بمهمة شجاعة اتجاه مجتمعه. فإذا نظرنا إلى **نجيب محفوظ** من خلال قراءتنا لآثاره، وأيضا لآرائه الفكرية، إنه يرسم لنا بيئته المصرية....بيئته هي **(الحسين و الأزهر، و خان الخليل و الموسكي)** .

كان صوت أبطال رواياته و قصصه القصيرة هو الصوت السياسي المسموع طوال الحقبة الناصرية التي شهدت انحسار النقد السياسي بل حتى الثقافي.

في تلك الحقبة شكل أدب **نجيب محفوظ** حزبا سياسيا قائما بذاته، يقاتل بهدوء و ينتقد برصانة ويحلل بذكاء أمراض الواقع الاجتماعي و السياسي في وقت اختار آخرون إما التصفيق أو الصمت.

وقد دلت نصوصه الكثيرة على موهبته و إبداعه في مجال الأدب، فاستحق شهرته الواسعة لدخوله في موضوعات كان البعض يفضل السكوت عليها لحساسيتها الشديدة لأنها تعرض صورا من واقعيات المجتمع.

---

1)رشيد الذاودي، أحاديث في الأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص[27] .

2)المرجع نفسه، ص[28]

صور محفوظ في رواياته الأمراض الاجتماعية المنتشرة و كان أسلوبه يتمحور حول الواقع

المعيش و ما يحمله من إشكالية أو تعدد في الرؤى، كما ناقش في رواياته المحرم من القول

وما يمتاز به هذا الكاتب أن رواياته المختلفة وقصصه القصيرة في غالبها اتجهت إلى الجانب العامي في المخاطبة، فهو يخاطب هذه الطبقة التي يريد أن يعرض حياتها و يدرس نفسيتها.

ولم تكن كتاباته خاصة بالطبقة المثقفة أو ما تسمى بالنخبة.

فقد التزم بواقعه المعيش بما يحمل من مشاكل اجتماعية، ففي كتاباته يدخل في عمق المشكلة ويدرسها من جوانبها المختلفة و يقوم بقراءة الشخصية وبناء سلوكاتها الإيجابية و السلبية،و يركز على الجانب الأخلاقي كأساس في بناء أي مجتمع.

فهو عندما يناقش السلوكات المنحرفة ليس من أجل إبرازها و الدعوة لها بل من أجل إيجاد حلول لها.

ومن هنا يمكن القول إن الكاتب يستطيع أن يبرز و يعالج قضايا المجتمع عن طريق الكتابة و بالتحديد الكتابة في نمط الرواية الاجتماعية، فهذه الأخيرة تتميز بارتباطها الكبير و العميق بالواقع الاجتماعي، إذ تصور مشكلات هذا الواقع و همومه على مستوى طبقة اجتماعية كاملة.

وبنا أن **نجيب محفوظ** أخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن قضايا مجتمعه فاتخذ مشكلات هذا المجتمع مادة لنتاجاته الروائية، وكان يتميز بغزارة إنتاجه الأدبي في هذا المجال "إذ نرى له سبع روايات هي: (**القاهرة الجديدة**) و(**خان الخليلي**) و(**زقاق المدق**) و(**بداية ونهاية**) ثم الثلاثية بحلقاتها (**بين القصرين و قصر الشوق و السكرية**)"[1]

ومايلفت النظر في نتاج **نجيب محفوظ** أن الشريحة الاجتماعية التي عني بها و توفر على تصويرها كانت هي الطبقة الشعبية بمختلف مستوياتها، و هي تمثل السواد الأعظم من الشعب المصري، وكان اختياره لها في القاهرة دون غيرها من سائر المدن المصرية، وما يدل على ذلك أسماء رواياته المشار إليها، و لعل دافعه هنا معرفته الدقيقة بأحوال تلك الطبقة و خبرته العميقة بعاداتها وتقاليدها

1)شفيع السيد،اتجاهات الرواية العربية،دار العلوم،جامعة القاهرة،ط3،1996،ص97

المبحث الأول: ماهية الرواية

لقد تميز النتاج النثري في الأدب العربي بوجود أنواع نثرية متنوعة كالقصة، و القصة القصيرة و المسرحية و الرواية وهي أنواع حديثة المنشأ في أدبنا العربي.

لكن رغم حداثة منشأها إلا أنها تثير إشكاليات خاصة بسبب التباس علاقتها بالتراث من ناحية و بالآداب الأوروبية من ناحية أخرى.

و تعد الرواية كغيرها من الفنون النثرية محط أنظار الكثير من النقاد العرب و المستشرقين الذين وقفوا مواقف مختلفة حول ماهية فن الرواية في الأدب العربي.

فمنهم من أشار إلى أن هذا الفن قد ظهر منذ القديم لكنه عرف بمصطلحات وتسميات مختلفة....وهكذا ففي العصور القديمة كانت الملحمة هي الرواية،وفي القرون الوسطى كانت القصة الطويلة هي الرواية.

فقد ورد على لسان ميشال بوتور"الرواية هي شكل خاص من أشكال القصة "1 و بمجيئنا إلى القرن التاسع عشر اعتبرت القصة الطويلة الواقعية هي الرواية.

ومن هنا سنحاول الإلمام ببعض الآراء و المفاهيم للنقاد و الأدباء العرب حول ماهية الرواية العربية.

---

1)ميشال بوتور،بحوث في الرواية الجديدة،ت. فريد أنطنيوس، ط3،1986، منشورات عيودات بيروت، باريس، ص5

أولا– تعريف الرواية

لغة:

إن الأصل في مادة روى في اللغة العربية هو جريان الماء أو وجوده بغزارة، أو ظهوره تحت شكل من الأشكال، أو نقله من حالة إلى حالة أخرى ومن أجل هذا ألفيناهم يطلقون على المزادة الرواية.

وقد ورد هذا المصطلح منذ الجاهلية في الشعر فنجد النابغة الذبياني يقول:

شهديه الرواة إليك عني [1] *** ألكني يا عيين إليك قولا

و جاء في معجم النقد العربي" روى الحديث رواية، و روى فلان فلانا شعرا إذ رواه له حفظه الرواية عنه، ورويت الحديث و الشعر رواية فأنا راو من قوم رواة ". [2]

و في معاجم اللغة هناك فرق بين (روى رياّ) بمعنى الارتواء من الظمأ، و (روى رواية) بمعنى حمل و نقل، و تسمى الدابة التي يحمل عليها الماء رواية، وقد سمي اليوم الثاني من ذي الحجة يوم التروية لأنهم كانوا يرتوون من الماء.

اصطلاحا:

إن ازدهار الرواية و تعدد أنواعها و اتساع أغراضها و اختلاف أساليبها و تدرج مستوياتها و تنوع مصادرها و سرعة تطورها و رحابة مجالها و استيعابها لكثير من عناصر الفنون و انتشارها في كل الآداب المعاصرة كل ذلك جعل الوصول إلى تعريف جامع و دقيق في آن واحد أمرا عسيرا، فاختلفت الآراء و تداخلت فيما بينها.

فنجد محمد فائق يرى أنها " شكل خارجي تتصارع فيه تقاليد صارمة و أشكال متحدثة و حياة داخلية، تتميز بالصدق و الحرارة و تسعى إلى التغير عن الواقع و بلورة رؤية مستقبلية" [3]

---

1)محمد غرام المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي،دار الشروق،بيروت،لبنان،ص 194

2) أحمد مطلوب،معجم النقد العربي،بغداد، ج2،ط1، ص 25

3)فائق محمد،دراسات في الرواية العربية، دار الشبيه للنشر و التوزيع،1978، ص 92

كما أن الرواية تأخذ في كل عصر صورة مميزة و تكتسب خصائص تجعلها غير مطابقة لخصائص الرواية لعصر سابق.

فالرواية متفردة بذاتها، فهي طويلة الحجم، لكن ليس في طول الملحمة غالبا و هي غنية بالعمل اللغوي، و تميل إلى المسرحية من جهة اشتراكها معها في خصائص معينة، كاستلهامها لبعض شخصياتها المهرجة و لوحاتها الخشبية، ذلك أن " الرواية في أي طور من أطوارها لا تستطيع أن أن تفلت من أهم ما تتميز به المسرحية هي الشخصية و الزمان، الحيز و اللغة و الحدث، فلا مسرحية و لا رواية إلا بشيء من ذلك ".[1]

أما ميلان كونديرا فترى أن الرواية تتميز بروح التعقيد و الاستمرار و تقول في هذا الصدد " إن الأشياء أكثر تعقيدا مما تظن ".[2]

وهكذا فالرواية تتخذ في كل عصر مضمونا و خصائص فنية جديدة و لذلك نستطيع القول إن الرواية هي ما يدرسه النقاد في كل عصر من العصور على أنه رواية و وجود هذه الأخيرة الآن أصبح أشد ضرورة، لأن سبب وجودها يقوم جعل عالم الحياة تحت إنارة مستمرة و على حمايتنا ضد نسيان الكائن.

---

1)عبد المالك مرتاض،في نظرية الأدب، عالم المعرفة،الكويت، ص13

2)ميلان كونديرا،فن الرواية، ت.بدر الدين عركودي، ط1،سوريا،دمشق،ص25

أقسام الرواية:

تتناول الروايات مشكلات الحياة و مواقف الإنسان منها في ظل التطور الحضاري السريع. فقد شهد أوائل القرن العشرين محاولات بسيطة في كتابة الرواية العربية عالجت موضوعات تاريخية و اجتماعية و عاطفية بأسلوب مباشر ، توخت تسلية القارئ وتعليمه ثم تبعث ذلك محاولات جادة في كتابة الرواية و تعد رواية "زينب" التي كتبها الأستاذ "محمد حسين هيكل" ونشرها سنة 1912 الميلاد الحقيقي للرواية العربية، و يرى العديد من النقاد أن هذه الرواية قد انتقلت بهذا الجنس الأدبي من طور الترفيه و التسلية إلى التعبير تجربة إنسانية صميمية عربية.

ووصولا إلى سنة ألف وتسعمائة و اثني عشر حيث يربط الباحثون أنفسهم بظهور الفن الروائي، ففي هذه المرحلة تبلور الوعي القومي، و تطلعه إلى لاستقلال و التحرر سواء في السياسة أو الاقتصاد أو في ميدان الفكر و الأدب بخلق أدب قومي يستوعب تجربة الحياة العربية العصرية، و يعبر عن روحها في قالب فني جديد، و قد ساعد في الاتجاه نحو لثقافة الغربية عنها عن طريق بعض الكتاب الذين عاشوا في أوروبا فترة من الزمن للدراسة أمثال: محمد حسين هيكل ، طه حسين و توفيق الحكيم....الذين اطلعوا على ينابيع هده الثقافة في لغتها الأًصلية فضلا عن استمرار رافد الترجمة من الآداب الأجنبية إل العربية .

ولما كانت الروايات التي صدرت في تلك الحقبة تعبر عن تجارب فنية متعددة

1_ الرواية التاريخية:

تعتمد العلوم الإنسانية المختلفة على دراسة العلاقة الجدلية بين الإنسان والتاريخ و استيعاب أبعادها، من مثل ما تتقدمه علوم الأنتروبولوجية و الاجتماع و غيرها من نظريات و معارف و رؤى مختلفة، و ذلك في محاولة لتفسير العلاقة المركبة بين الإنسان من جهة و المنظومة التاريخية من جهة أخرى.

و الرواية ذلك الجنس الأدبي النثري السردي التخيلي تحاول التقاط ما هو جوهري و جدلي في علاقة الإنسان بالتاريخ لتسهم بشكل فعال و حاضر في تقديم صورها لهذه العلاقة وفق منظورها الفني الخاص، و ضمن حقول الفن و الآداب المختلفة عبر اشتراكهما بالعناصر الرئيسية الإنسان، الزمان و المكان و أكثر من ذلك اشتراكهما القصة أو الطابع القصصي فهي تستمد موضوعها و أسلوبها من التاريخ، كما أنها تشترك مع الرواية الأدبية في وجود بنية تاريخية تتأسس عليها، بمعنى وجود فضاء و أحداث و ذوات حقيقية مختلفة في الغالب و تشكل جزءا من تاريخنا و ماضينا الممتد حتى اللحظة الراهنة.

فيعرف جورج لوكتاش الرواية التاريخية بأنها:"رواية تاريخية حقيقية، أي تثير الحاضر،و يعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق للذات"1

و إذا عدنا إلى جذور اتجاهات الرواية التاريخية نجد أن آراء المحدثين قد انقسمت إلى ثلاثة اتجاهات:

الأول يرى أن الرواية التاريخية "كانت تطورا طبيعيا عن التراث العربي القصصي"

أما الاتجاه الثاني فهو يقر بأن الرواية التاريخية الحديثة لم تكن إلا امتدادا للقصة التاريخية القديمة كقصة عنترة، و السيرة الهلالية و سيرة الأميرة ذات الهمة و سيرة الظاهر بيبرس .... فقد زال هذا النوع من الأدب الذي كان صدى للبيئة التي وجد فيها.

---

1) جورج لوكتاش،الرواية التاريخية،ت.صلاح جواد الكاظم، العراق، بغداد،ط2،1976، ص 13

2) فاروق خورشيه، في لرواية العربية (عصر التجميع)، ص 11

ويرى أصحاب الاتجاه الثالث أن الرواية التاريخية نشأت نتيجة مزاوجة بين الموروث

الثقافي من التراث العربي القديم و بين ما جاءنا من الغرب حيث نتج عن حركة التزاوج انقسام القصص الفني إلى قصص تاريخي طويل و قصير و إلى قصص اجتماعي طويل و قصير.

و من أهم الروائيين العرب الذين برزوا بداية من فترة الثمانينات و استخدموا التاريخ القومي إطارا و موضوعا لفنهم الروائي، نجيب محفوظ الذي اكتفى بإصدار روايتين اثنتين في هذه الفترة هما (رادو بيس) و (كفاح طيبة) لينتقل بعدهما إلى مجالات أغنى و أرحب، و محمد فريد أبو حديد(1922/1893) الذي آثر تاريخ العرب قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية ميدانا لاختيار موضوعاته الروائية.

فكتب المهلهل سيد ربيعة ....و آخرون كأحمد باكثير و محمد سعيد العريان و عبد الحميد بن جودة العريان.

تجدر الإشارة إلى أن الرواية التاريخية لا تعنى بتقديم التاريخ للقارئ بالدرجة الأولى، فوثائق التاريخ كفيلة بأداء هذه المهمة و لكن تكمن قيمتها في مدى براعة الكاتب في استغلال الحدث التاريخي و كيفية معالجته لقضية حية من قضايا مجتمعه الراهنة.

و "الروائي ملتزم في كل الحالات بالخط التاريخي العام، و خصائص العصر الذي يصوره، و ملامحه و تقاليده، و عدم الخروج عليها أو تزيفها"[1]

و نخلص مما تقدم أن منابع الإلهام في الرواية التاريخية قد تنوعت، و إن كان كل من هؤلاء الروائيون استمالته حقبة بعينها أو شخصية بذاتها، و هذا يعود إلى دوافع فكرية و نفسية تختلف من واحد لآخر.

1) شفيع السيد، اتجاهات الرواية العربية، ص 28

الرواية الأسطورية:

و نعني بالرواية الأسطورية الرواية التي يعتمد الكاتب في بنائها على إحدى الأساطير القديمة التي تناقلتها الأجيال على مدى سنوات طويلة و أصبحت بذلك جزاء من التراث الفكري للشعب أو للأمة بأسرها.

فأسطورة هي عبارة عن قصة خيالية بعيدة عن منطق العلاقات الواقعية بين الأشياء، أما شخصياتها فلا تنتمي إلى عالم الأسوياء من الناس، و إنما هي شخصيات شاذة خارجة عن طبيعة البشر. و هنا يكمن الاختلاف بينها و بين الرواية التاريخية، التي تبني أحداثها على وقائع تاريخية روتها كتب التاريخ.

و الرواية الأسطورية كان رباط الأحداث فيها متعلقا بشخصية البطل بشكل أساسي.

و بالإشارة إلى فترة الثمانينات و ما بعدها في الرواية التاريخية اعتمدنا نفس الأساس في إظهار أبرز الشخصيات التي أبدعت في هذا النوع من الروايات، نذكر على سبيل المثال لا الحصر نجد طه حسين الذي اعتمد فيها على أسطورة "ألف ليلة و ليلة" مبرزا من خلالها شخصيتين أساسيتين هما: شهرزاد و شهريار، و رواية آلام جحا لمحمد حسين أبو حديد التي اعتمد فيها على أسطورة جحا ذات الطابع الهزلي الساخر.

الرواية التعبيرية:

إن " التعبيرية" أسلوب فني ظهر أولا في الرسم و الموسيقى بألمانيا أثناء الربع الأول من هذا القرن، و ما لبث أن انتقل إلى الأدب المسرحي و اشتهر به الكاتب السويدي سترندبرج ثم تأثر سائر الفنون الأدبية الأخرى"، و أخص ما يتميز به هذا الأسلوب هو التعبير عن تجربة الكاتب الباطنية بتمثيل العالم كما يبدو.

فالكاتب لا يلتزم العلاقة الطبيعية بين الأشياء و لا يهتم كثيرا بالمجالين الزماني و المكاني للأحداث الروائية.

و مثل هذا الاتجاه نجيب محفوظ في أواخر القرن السادس، فبعد أن قدم لنا ثلاثيته المشهورة التي استوعب فيها هموم مصر السياسية و الاجتماعية، معبرا عن ذالك شكلا و مضمونا فأصبح يهتم _ فيما بعد_ بتطوير الشخصية و تنميتها، وفقا لمنطق الواقع و العلاقات الطبيعية بين الأشياء، و أصبح يصطبغ بصبغة المذهب أو الاتجاه التعبيري.

و الفارق الأساسي بين هذا النوع من الرواية و سابقه هو أن الكاتب لا يتلقفها من التراث ثم يعيد تشكيلها كما في الرواية الأسطورية بحيث يكون مضطرا إلى خلق عالم خاص يتوافق مع فكرته، بل هو يستمد فكرته من الواقع، أو بعبارة أخرى يلهمه الواقع الحي الذي الذي يعيشه هذه الفكرة، ثم يسعى إلى التعبير عنها.

فالمؤلف يظل دائما موصولا بالواقع غير غائب عنه، و هذا ما نجده في روايات نجيب محفوظ: اللص و الكلاب، السمان و الخريف ثرثرة فوق النيل، الطريق و الشحاذ.

لقد أبدع هذا الروائي الشهير في الإلمام بجميع أنواع الروايات، و تمكن من ايضاح الصورة ال

حقيقية لفن الرواية على المستوى العربي و العالمي.

---

1) شفيع السيد، اتجاهات الرواية العربية، ص 225

الرواية الاجتماعية:

لقد شكلت الرواية الاجتماعية أبعادا لها خصوصيتها في الرواية العربية المعاصرة، حيث يجسد الكتاب رؤيتهم العامة من خلال اعادة اكتشاف الواقع من جديد بقضاياه الاجتماعية المتواجدة في نسيج الحياة و جوانبها المختلفة.

فهذا النوع يهتم بتقديم قضية من القضايا الاجتماعية، ويمكن للمؤلف أن يلجأ إلى طريقة التحليل حين يعرض نفسية بطل الرواية أو غيره من الشخصيات ، كما أن أهم أحداث الرواية تمثل تجربة شخصية للمؤلف ، حين يقدم قضية من القضايا ، كالطبقة الفقيرة في صراعها من أجل تحسين وضعها أو رفع مستواها أو صعودها إلى الطبقة الأعلى، و أيضا العديد من القضايا التي سنلقي الضوء عليها بإبراز بعض النماذج من الروايات التي تهدف إلى معالجة هذه القضايا الاجتماعية.

و ما نلحظه أن هناك علاقة تبادلية بين الرواية و المجتمع التي تقوم أساسا على تغذية المجتمع للرواية، و تصوير الرواية لأوضاع المجتمع.

و نعد نجيب محفوظ أشهر من نار على علم في تصوير و إيضاح هذه العلاقة عن طريق رواياته فقد اختار المجتمع كمسرح لأحداث رواياته، ليقدم نموذجا لظاهرة اجتماعية لطبقة من الطبقات أو لجيل من الأجيال، " و أول هذه الظواهر التي عالجها ظاهرة الانتماء السياسي و العقائدي التي كانت الأساس الذي شكل كيان الحياة السياسية في مصر بعد الحرب العالمية الأولى.

وهذا ما نتلمسه في ثلاثيته المشهورة فقد بدا الانتماء السياسي واضحا منذ حلقاتها الأولى خاصة التي نرى فيها أحمد عبد الجواد الطالب بمدرسة الحقوق يقوم بتنظيمات الثورة ***"بين القصرين"** الشعبية التي اشتعلت سنة ألف و تسعمائة و تسعة عشر تطالب بتحرير الوطن و استقلاله من قبضة الاحتلال البريطاني بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها،

---

*)أنظر، شفيع السيد إتجاهات الرواية العربية، ص 99

و انتهت الرواية بسقوطه شهيدا في المظاهرات السلمية التي كانت قد خرجت بعد الإفراج عن سعد زغلول ورفاقه إعرابا عن بهجة الشعب بعودة زعمائهم من منفاهم.

و لا يغيب عنا أن مصرع فهمي ليس إلا نموذجا للتضحية الدموية للشعب المصري من أجل الحصول على الحرية و الاستقلال.

و بالنسبة للظاهرة الثانية التي سنشير إليها فتتمثل في ظاهرة الفقر و الحرمان، فالشخصية في هذه الظاهرة تحاول الفوز بفرصة، محاولة منها تخطي واقعا المر و إشباع رغباتها و التخلص من الحرمان الذي تواجهه، و في سبيل ذلك تضحي بقيم الشرف و العفاف و الكرامة.

وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نلقي اللوم و المسؤولية على الفرد وحده، فهذا الانحراف ناتج عن اهتزاز في البيان الاجتماعي.

وهناك منحى آخر قد تتجه الشخصية إليه، حيث تنتقل إلى و ضع اجتماعي آخر أفضل مما كانت عليه بشكل طبيعي، بذلت فيه ما تملك من جهد، ولكن بعد وصولها إلى الوضع الجديد تنظر إلى ماضيها نظرة حقد راغبة في التخلص منه.

رغم أنها لا تفلح، فالماضي يبقى يلاحقها بآثاره حتى تسقط في أسر الإحباط و الضياع.

و خير أنموذج يبرز هذه الظاهرة رواية القاهرة الجديدة حيث نجد فيها مجذوب عبد الدايم ينحدر من أبوين فقيرين يعيشان في القناطرة الخيرية، كان أبوه موظفا صغيرا بإحدى الشركات، عندما كان محجوب في السنة النهائية في الجامعة أصيب أبوه بالشلل فأقعده عن العمل، و فصل من الشركة و لم تمنحه إلا مكافأة ضئيلة، فاضطر محجوب إلى أن يترك سكن طلاب الجامعة و أجبر على السكن على سطح إحدى العمارات القريبة من ميدان الجيزة، مقتصدا في نفقاته، و لم يكن عمله محررا _ الذي وفره له سام الإخشيدي _ كافيا لسد متطلبات حياته، و ما إن انتهى العام الدراسي و تحصل على شهادته راح يبحث عن عمل، بيد أن سوق العمل كانت كاسدة في ذلك الوقت ولا تفتح أبوابها إلا لذي الجاه و النفوذ.

يلخص ذلك قول موظف المستخدمين الذي ذهب إليه محجوب بصحبة صديقه علي طه يسألاه عن وضيفة في المكتبة.

"فأمسك بيد محجوب وقال له:

اسمع يابني: تناس مؤهلاتك، و لا تضيع ثمن طلب الاستخدام، المسألة لا تعدو كلمة واحدة و لا كلمة غيرها، هل لديك شفيع؟

أأنت قريب أحد ممن بيدهم الأمر؟

أ تستطيع أن تطلب يد كريمة أحد من رجال الدولة؟

إن أجبت بنعم فمبارك مقدما، وإن أجبت ب كلا فلتول وجهك وجهة أخرى"[1]

إن عذاب الفقر و الحرمان الذي يجتاح أسرة بأكملها بعد وفاة عائلتها و عدم وجود أي مورد بجانب معاشه و بتأثير هذه الظروف القاسية يظل الفرد يعاني و يجبر على القيام بأشياء محرمة حتى تتوفر أيسر متطلبات الحياة.

و الظاهرة الثالثة التي سنلقي الضوء عليها،هي ظاهرة ازدواجية السلوك و أعني بها تناقص مسلك الفرد في حياته الخاصة مع ما يبدو عليه أمام الآخرين فهو يجمع في ذاته بين سلوكين متباينين، أحدهما يتسم بالسمو و النبل و الاستقامة و يتصف الآخر بعكس هذه الصفات، و هو بالأول و اضهار احترامه لقيمه و تقاليده، في حين هو في الآخر يصدر عن يحاول نيل رضا المجتمع، نفسه الحقيقية دون زيف.

و نماذج هذه الازدواجية نراها أيضا في القاهرة الجديدة ممثلة في عبد العزيز بك راضي" هو احد أصحاب النفوذ في وزارة الداخلية ، وكان يتقاضى – ممن يلحقه بعمل من الأعمال– نصف راتبه لمدة عامين ، ولما عرض سالم الإخشيدي اسمه على محجوب عبد الدايم حين كان يسعى إلى الوظيفة بعد التخرج وافق محجوب على الاتصال به وعد عرضه أيسر العروض لكن الإخشيدي اخبره بأنه لا يمكن الاتصال به قبل شهر ونصف بعد عودته من أداء فريضة

---

1)نجيب محفوظ، المؤلفات الكاملة، ص

61،62

الحج؟ هكذا يبدو الازدواج في شخصية عبد العزيز بك، فواجهتها تستجيب لمناسك الدين وشعائر الحج بما تتطلب من نزاهة ومروءة وعون للمحتاج ، وخلفيتها تبتز الأموال من طلاب العمل وتسرق نصف ثمرة جهودهم لمدة عامين.

هذه بعض القضايا والمشاكل الاجتماعية التي طرحها نجيب محفوظ في رواياته محاولا إبرازها حتى يتمكن المتلقي من فهمها وتجنبها ثم مواجهتها باقتراح الحلول المناسبة .

- **خصائص الرواية الإجتماعية :**

ارتباطها بالواقع:

ان هذا النوع من الروايات يرتبط بالواقع الاجتماعي بشكل أوسع وأعمق ويصور مشكلات وقضايا المجتمع، فهموم شخصيات الرواية مرتبطة بهموم الواقع الذي يحتويها وما تعانيه من ازمات خاصة التي يرجع جزء منه الى طبيعة الظروف الاجتماعية والأوضاع السياسية القائمة

الانتماء الطبقية:

وهذا الشأن يخص المبدع حيث نجده مرآة عاكسة لأوضاع مجتمعه، يؤثر و يتأثر بكل قضاياه، وهذا ما لاحظناه على نتاج **نجيب محفوظ** حيث نجد أنه عني بالشريحة الاجتماعية التي نشأ فيها و ينتمي إليها و هي الطبقة الاجتماعية بمختلف مستوياتها.

الالتزام بقضايا المجتمع:

و يكون بمدى الالتزام و الدفاع عن مصالح تلك الطبقة التي ينتمي إليها، سواء أرستقراطية أم وسطى أو كادحة، و إلى أي مدى يستطيع تجسيدها في كتاباته، و مدى إسهامه بتوعيتها بمشاكلها و توجيهها لإيجاد الحلول لتلك المشاكل" وبهذا المقياس الملتزم لا يعد الأثر الأدبي جيدا إلا إذا عبر بوضوح عن موقف صاحبه من قضايا عصره و أمته و إلا لما أحس بمشاعر مجتمعه و أصبح فعالا فيه مؤثرا، فأن لم ينهض بذلك و لم يتحمل تبعاته فإنه لم يعد مختلفا عن مسايرة الحركة الصاعدة في أمته، بل يصبح معوقا و أداة سيئة من الأدوات السلبية" [1]

إذن فالرواية الاجتماعية تهدف بشكل أساسي إلى وضع حلول لمشكلات المجتمع و الحفاظ على كيانه ووحدته القومية.

---

1) شوقي ضيف،البحث الأدبي، ص 99

المبحث الثاني: طبيعة الحياة الإجتماعية في عصر نجيب محفوظ

إن واقع الحياة المصرية ما بعد الحرب العالميتين وحتى قيام ثورة يوليو سنة ألف و تسعمائة و اثنان وخمسون قد شهد كثيرا من التغير في كيان البنيان الاجتماعي و القوى المؤثرة فيه، عما كان عليه الحال عقب فترة ما بين الحربين فمن حيث الوضع السياسي كان الحكم الملكي لا يزال على قمة السلطة في البلاد، و من حوله الأحزاب السياسية باتجاهاتها المختلفة و التي كان أبرزها حزب الوفد و الأحرار الدستوريين، و إلى جانب كل هذا كان هناك المندوب الرسمي السامي البريطاني فالملك كان يرغب في استمرار حكمه و الاستمتاع بلذاته و أهوائه، دون الاكتراث بقضية الوطن الأساسية في الحرية و الاستقلال.

و الأحزاب السياسية في هذه الآونة كانت في حالة نزاع فيما بينها من أجل الوصول إلى السلطة و تحقيق برمجها الإصلاحية التي تعلن التزامها بها.

و كان أكثر هذه الأحزاب الشعبية "حزب الوفد" لما قام به من دور مجيد في الكفاح الوطني منذ إنشائه في مطلع العشرينيات.

أما من الناحية الاقتصادية، فقد ظلت الزراعة كما كانت سابقا، لممول لرئيسي لاقتصاديات البلاد، و الطبقة الإقطاعية من المصريين كانت صاحبة الامتياز و التفوق. و كان هناك أيضا الطبقة المتوسطة المتألفة من التجار و الموظفين، و ذوي الملكيات الزراعية أما جماهير الشعب العريضة، فمثلت الطبقة الكادحة من عمال المصانع و الشركات و الفلاحين في الريف، و هي طبقة لم تكن على حظ يذكر من الوعي و الإدراك و لم تكن تشكل خطرا أو تأثيرا على على مجرى الحياة العامة في البلاد، بل إنها عاشت مقصورة تحت وطأة تخلفها و سوء مستواها المادي، و معاناتها لمظالم الطبقة المالكة.

و بمجيء ثورة يوليو سنة ألف و تسعمائة و اثنان و خمسون، أحدثت تغيرات هزت وسط المجتمع المصري ،و أحدث بأثير ا كبيرا في جوانب الحياة المختلفة.

حيث قررت إلغاء نظام الحكم القائم على الملكية، و حل الأحزاب و العمل على القضاء على الأمراض المنتشرة في المجتمع المصري. و التحرر الإقتصادي، و تحقيق العدالة الاجتماعية. فاختل التوازن في البنيان الاجتماعي باتساع الفوارق بين الطبقات، وكان لذلك تأثيرا واضحا على

النتاج الأدبي بفنونه المتنوعة. و الرواية من بين الفنون التي شكلت سبيلا للتعبير عن مطالب و حقوق هذا الشعب.

فالأديب لسان ناطق باسم حال الأمة، و مهما حلق في سماء الخيال و المثالية فإنه دائما ينتهي لمعانقة الهم البشري. و الأدب الذي ينتجه ما هو إلا "تعبير عن المجتمع و ما يجري فيه من نظم و عقائد و مبادئ و أوضاع و أفكار، و الأديب لا يسقط على مجتمعه من السماء و إنما ينشأ فيه و يصدر عن كل ما رأى فيه وأحس و سمع ناسجا مادته من مسموعاته وأحاسيسه و مرئياته و ليس بصحيح أن من الأدباء من يستطيع الانعزال عن مجتمعاتهم"[1]

و هذا نجيب محفوظ أبرز نموذج في التعبير عن حقائق المجتمع ووقائعه، إذ التزم بالدفاع عن قضايا وطنه، و سعى جاهدا الوصول إلى تحقيق العدل و المساواة.

1) شوقي ضيف،البحث الأدبي، ص 95

1_ مواكبة الرواية لتطورات المجتمع

إذا كان الأدب – في أحد أهم تفسيراته– هو مرآة مكسورة لعوالم البشر فإن ذلك أصدق ما يكون في الرواية ، ومن المسلم به أن الرواية صارت في الوقت الراهن من أكثر الظواهر الأدبية حضورا في أدب ومن خلفه العالم العربي العالم إذ إن طبيعتها تقوم على تصوّر العمق الحضاري لمجتمع من المجتمعات ، وتصوير أزمة الإنسان في هذا المجتمع.

ويتم ذلك عن طريق رؤى الكتاب التي تعكس شكل المجتمع من زوايا متعددة ، باستخدام لغة ، أولئك الكتاب الذين *وأسلوب أدبي تصويري ، يجسد في طياته موقف الكاتب ورؤاه المختلفة تساعدهم أدواتهم الفنية على التقاط صور حية لمجتمعهم بحيث يشعروننا " بأننا نوشك أن نكون جزءً من بناء ذلك المجتمع " [1].

إذا فالرواية ليست ترفاً أدبياً من أجل ملء الفراغات الثقافية وإنما هي " أداة فنية للوعي يمكن بواسطتها رصد وضع الأمة وتجسيد أزماتها العامة من خلال شخصياتها الروائية الفردية"[2].

وحين يوجد تغير ما فإن الرواية هي أقدر الأنواع الأدبية على رصد ذلك التغير والتحول وإذا التفتنا إلى الرواية العربية أمكننا القول بأنها " نشأت وتطورت ضمن سيرورة المثاقفة، وهواجس النهضة ، وإيقاع التصنيفات الاجتماعية ، وتبدل القيم... الأمر الذي أعطى للرواية مكانة مميزة وحساسة لأنها الشكل التعبيري الأقدر على التقاط صور وعلامات التحولات "[3]. وتبقى الرواية تزخر بتصوير الحياة الاجتماعية بما فيها من شرائح مختلفة ومهن متعددة ، كما أنها اتجهت للتمسك المعقول بأصول الفن الروائي ، وصارت تعبر تعبيراً حقيقياً عن النسيج الفكري والنفسي للمجتمع العربي.

و تغير صور البناء الاجتماعي هو أساس تغير صورة البناء اللغوي والفني للأدب، إذ إن التطور المدني المتتابع سرَّع من عملية النضج النوعي للرواية العربية فكلما تتعقد الحياة تتنوع الرواية وتتسع.

---

*- انظر،جورج لوكا تش، نظرية الرواية و تطورها،ت.نزيه الشوفي، ط1،دمشق،1987، ص[49]

1- روجر هينكل، قراءة الرواية مدخل إلى تقنيات التفسير، ت. صلاح رزق،الهيئة العامة الثقافة، ط2، ص[101].

2 - أحمد محمد عطية، الرواية السياسية دراسة نقدية في الرواية العربية السياسية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ص[17].

3- مصطفى عبد الغني ، الاتجاه القومي في الرواية، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1994، ص [26]

و بذلك نجد أن أحداث الروايات تحقق و تبرز بشكل كبير الواقع المعيش، لأنها تتقاطع مع الوقائع الاجتماعية في كثير من الحالات.

كما نجد أن العديد من الدراسات تتناول إشكالية الرواية و المجتمع يتخذ من الرواية والمجتمع موضوعا للبحث فهو"يتناول جانباً أدبياً موضوعياً حيوياً ، فيه علاقة جدلية بينه وبين المجتمع ، تلك العلاقة التي يبدو للوهلة الأولى أن المجتمع مفعول به موصوف ؛ لكن الحقيقة أنه هو الفاعل لأنه هو الذي كون الروائي وجعله يقتات منه"[1]، وهذا ما تؤكده لنا الرؤية النقدية التي تقول إن " الرواية العظيمة عمل فردي من حيث الإبداع الفني ، لكنها عمل يتأثر بالمجتمع، ويؤثر فيه، ويعبر عنه من حيث القيمة الفكرية الاجتماعية"[2]

نصل في الأخير أن الرواية تهدف من خلال مواكبتها لهذه المجتمعات إلى أبراز صور المجتمع ومدى انعكاس القيم إسلامية و غيرها، حيث أنها رصدت الطرق الفنية التي انتهجها روائيون متعددون لتصوير مجتمع معين، و قد ساعدت الرواية على التعرف على اتجاهات مواقف الكتاب الروائيين من مجتمعاتهم ما بين القبول أو الرفض أو التقويم .

و تسعى إلى توثيق العلاقة القائمة بين الدراسات الاجتماعية والأدبية من أجل تمتين الجسور بين العلمين وتوسيع مجالات التعرف على المجتمع من خلال الرواية .

---

1) روبيرت اسكاربيت،سوسيولوجيا الأدب، ت.أنال عرموني، بيروت، ط 3، 1999، ص 21.

2)جورج لوكاتش، نظرية الرواية و تطورها، ص 119.

الفصل الثاني

أولا: ملخص الرواية "زقاق المدق"

تروي لنا الرواية وقائع زقاق المدق وحالتهم الاجتماعية البائسة، فقد اختار **نجيب محفوظ** وصف إحدى المقاهي التي يمتلكها رجل يدعى "كرشة" الموجود في الزقاق، إذ كان يتوافد عليها الأشخاص من ذوي النفوس الضعيفة المتورطون بعمليات الإرهاب، والمدمنون على تعاطي المخدرات الخبيثة.

فقد كان تاريخ "المعلم كرشة" أسودا مشوها في انحرافه الذي أثر به في أولاده، وقد تمعن الكاتب في وصف كل شخصية حسب الدور والوظيفة و الأهمية التي تؤديها في النص، وهذه الميزة الغالبة على أسلوب **نجيب محفوظ**.

وعنصر المكان أيضا بدا جليا في الرواية، فبعد إشارة الكاتب لمقهى "**كرشة**" انتقل بعد ذلك للإشارة إلى ما يسمى "**الوكالة**" وهو السوق الذي يمتلئ بالأعمال التجارية ويحاول توفير الفرصة لسكان الزقاق لكسب لقمة العيش، ويفصل الكاتب فيما يتعلق بهذه الوكالة، فقد امتلكها رجل غني، أنيق الملابس و مكانته رفيعة في مجتمعه بحبه للآخرين بطيبته و حسن معاملته لسكان الزقاق، فلم يمنعه غناه عن مساعدة الناس و مد يد العون لهم.

ويكمل الكاتب جولته مع القارئ ليريه بقية الأماكن المتضمنة في الرواية ليقف به عند "دكان الحلاق". فيقول **نجيب محفوظ** " أما صالون الحلو فقد كان صغيرا، يعد في الزقاق أنيقا، ذو مرآة و مقعد، غير أدوات الفن، و صاحبه شاب متوسط القامة ميال للبدانة، بيضاوي الوجه، بارز العينين، ذو شعر مرجل ضارب للصفرة علي سمرة بشرته، يرتدي بدلة، ولا يفوته لبس المريلة اقتداء بكل الأسطوات!"[1]

مرورا أيضا ببائع البسبوسة و المخبز، و قد ركز **نجيب محفوظ** في عرض هذه الشخصية على وصف الشقتان اللتان ضمتا في أحضانهما معظم سكان الزقاق و من بينهم وصف العالم بالدين المتعلم بالأزهر الشريف.

فهذا العالم لم يتسن أم يكمل دراسته بالأزهر لإخفاقه فيها، فاتخذ الدين سبيلا لاحترام الناس له في مجتمعه، حتى أصبح مرجعهم في النصح و الإرشاد و الموعظة الحسنة و تفريج الهم عنهم بإذن الله، الذي عرف بطلعته المهيبة، و جسمه الضخم الذي تغطيه عباءته الفضفاضة السوداء.

---

1) نجيب محفوظ، المؤلفات الكاملة، زقاق المدق، ص642.

يساعد الناس و يسمع شكواهم و يعدهم بأنه يحاول أن يوفر أعمالا للشباب في ذاك الزقاق و دائما يذكر اسم الله، و يتوكل عليه في كل خطوة يخطوها و في كل كلمة يتفوه بها، فيقول مثلا" كلنا أبناء آدم، فإذا ألحت عليك الحاجة فاقصد أخاك والرزق رزق الله و الفضل فضله"[1]

هذا ويرسم **نجيب محفوظ** الأوضاع الاجتماعية لهؤلاء السكان من خلال إعطاء وصف دقيق عن شخصياتهم و أحوالهم النفسية، فيذكر لنا أيضا، قصة امرأة مات زوجها وظلت تعاني من الوحدة لمدة طويلة، تبحث عن زوج سري يؤنس وحدتها، ولكن هذه المرأة اتسمت بالبخل الشديد، و رغبتها الدائمة في إزعاج أهالي الزقاق و إيذائهم.

و هكذا نوع الكاتب في عرض قائمة من الشخصيات في روايته، فظهر منها الجيد كما أبرز فيها السيئ، و من الشخصيات السلبية صورة رجل فقير يسكن وراء المخبز و يحمل صفات قبيحة و قذرة كملابسه التي يرتديها.

كما تصور أحداث الرواية للقارئ قضية مركزية موضوع الحب، تمثلت في قصة **عباس الحلاق** الذي وقع في غرام حميدة الجميلة لكن حبهما انتهى بمقتل عباس.

لقد كشف **نجيب محفوظ** اللثام عن المشكلات الاجتماعية التي حاطت "بزقاق المدق" و أهله، و التي أراد الكاتب الاستعارة بها ليعبر مصر، قاصدا بذلك لفت أنظار الدولة التي تحمل المسؤولية تجاه الوطن والمواطن المسكين، مثيرا بذلك التخبطات و المشكلات النفسية التي خلقت بداخلهم جراء الظروف الاجتماعية السيئة أملا منهم في إيجاد الحلول المناسبة لقطع المعضلة جذريا قبل تفاقمها داخل المجتمع المصري.

1) نجيب محفوظ، المؤلفات الكاملة، زقاق المدق، ص 644.

ثانيا: دلالة العنوان: "زقاق المدق"

العنوان هو أول دوال النص، و البداية الحقيقية لمراحل لتأويل، أي أنه أحد العناصر الرئيسية في النص الإبداعي، وعتبات النص هو كل ما يحيط به بالنص و يظهره مغلقا و ذلك من عنوان وغلاف و إهداء و كلمة ناشر، و مقدمة، كما قيل عنه هو رأس النص و مفتاحه الأساسي و نقطة الإرسال الأولى، و من ثم فهو يرتبط بباقي جسم النص. و" العنوان للكتاب كالاسم للشيء به يعرف و بفضله يتداول، يشار به إليه، و يدل به عليه، يحمل وسم كتابه، و في لوقت نفسه يسمه العنوان. . بإيجاز يناسب البداية . علامة ليست من الكتاب جعلت له، لكي تدل عليه. و هذا التعريف الأولى له لا يختلف في اللغة العامة عنه في للغة المعرفية، المسماة اصطلاحية، ودونما فارق واحد بينهما و العنوان ضرورة كتابية، هكذا لغوي و هكذا اصطلاحيا أيضا" [1]

و العلاقة بين ما هو مدون على غلاف النص و بين الحكاية المدرجة داخله هي علاقة جدلية تدور في كثير من الأحيان حول طبيعة النص السردي في مركزيته الموضوعية و ما يدور داخلها من وقائع و أحداث و ما يحتويه العنوان من معان مكثفة و مستوحاة من النسيج السردي، كما أن هناك بواصل جمالي بين العنوان و دلالات النص، خاصة إذا كانت هذه الدلالات تساعد في رؤية الكاتب و نسق تفكيره و متخيله الخاص بأحداث محددة، و هو كما عرفه "**لواتش لوك**" "بأنه مجموعة من العلاقات اللسانية قد ترد طابع النص لتعينه و ترغب القراء فيه"[2]

و يعد نجيب محفوظ من العوالم الروائية التي خلدت نفسها بنفسها من خلال النسق المتفرد الذي انتهجه في إبداعه الروائي، و التطور المتلاحق في بنية و صيغة الفن الروائي في عالمه.

و العنوان عنده هو جزء لا يتجزأ من العملية الإبداعية الداخلية للنص. فهو يختار عناوين روايته بعناية شديدة، و يطلقها على نصوصه برهافة و شفافية.

و هذا الاهتمام الكبير الذي أولاه نجيب محفوظ لعناوين روايته قد منحها في المقام الأول هذا الحضور و هذه المكانة في ساحة الرواية العربية بل و العالمية أيضا.

---

1) محمد فكري الجزار،العنوان و سميولوجيا الاتصال الأدبي،الهيئة العامة للكتاب،1998، ص15

2) محمود الهميسي، براعة الاستهلال في صناعة العنوان، دمشق،ع 313، مايو 1997.

يعتبر العنوان علامة و إشارة مهمة لهذا العالم الذي شيده و أحاط بسياجه الرؤى و جماليات التعبير، و سلالة التفكير و قوة المنطق و جودة الحبكة ، و قد صارت كل أعماله الروائية وعلاماتها المميزة و المتمثلة في عناوينها **كالزقاق** و**الحارة** و غيرها من العلامات المميزة لهذه المسيرة الروائية التي خرجت الرواية العربية بفضلها من المحلية إلى آفاق العالمية.

و لأن نجيب محفوظ كان محتفيا بالمكان، كانت الحارة المصرية ي المكان الأثير لديه، الذي أخذ منه موضوعات رواياته لتفاعله الذاتي و لمعايشته لهذا المكان في سنين عمره المختلفة، لذا فإن المكان بشعبيته و سماته الخاصة كان حاضرا في عناوين رواياته.

ففي رواية "زقاق المدق" نجد العنوان يتكون من كلمتين "زقاق" بمعنى حارة أو شارع و "المدق" هو اسم الحارة التي تمثل إحدى الحارات الشعبية المصرية و هي إحدى الأزقة المتفرقة من منطقة الحسين بحي الأزهر الشريف، وتتميز هذه المنطقة بأنها جزء من القاهرة الفاطمية التي أسسها المعز لدين الله الفاطمي، و هو زقاق صغير شعبي يتفرع من شارع الصنادقية الموازي لشارع الأزهر. و العنوان دائما ما يلتحم بالوصف المحدد للمكان الواقعة فيه الأحداث. و التحام العنوان بالاستهلال من السمات التي جاءت عليها النصوص أخذت عنوان المكان عتبة لها في رواية زقاق المدق، فيبدأ الكتب استهلاله بتقديم تاريخ الزقاق و أصوله "تنطق شواهد كثيرة بأن زقاق المدق من التحف الغابرة" [1]

نجد أن طبيعة العنوان في عالم نجيب محفوظ يكتسب وحدة اتصالية تشكل وجودا لظاهرة هذا الكاتب المتميز في الرواية العربية و العالمية، بالرغم من الصلة الرابطة بين العنوان و النص في عالمه الروائي، إلا أننا نجد أن سحر لكلمة في عناوين نجيب محفوظ و جماليات هذه العناوين قد صنعت لنفسها أبعادا خاصة ميزت هذه المسيرة الروائية عن غيرها.

---

1) نجيب محفوظ، المؤلفات الكاملة، زقاق المدق، ص 641.

ثالثا: **دلالة المكان**:

"زقاق المدق" مكان الرواية هو المحور الأبرز فيها، المرتبط بكل ما فيها من شخصيات و أحداث ارتباطا وثيقا، و الكاتب يسعى لترسيخ هذا الارتباط و التلازم و الالتحام على امتداد الرواية بجميع فصولها، فالصراع في زقاق المدق قائم على أساس علاقة الإنسان بالمكان و العلاقات بين الناس، و كيفية تفاعله و تفاعل ساكنيه مع الخارج أي خارج الزقاق مع الحفاظ على الهوية و الأصالة المميزة له، الذي ظل محتفظا بها على مدى الأزمان، كما رسم معالمه و ملاحمه بدقة متناهية حيث استهل الحديث في روايته باستعادة تاريخ الزقاق و الحديث عن أصالته. فتكمن أهمية المكان من خلال تسليط ضوء البداية عليه "تنطق شواهد كثيرة بأن زقاق المدق كان من تحف العهود الغابرة، و أنه تألق يوما في تاريخ القاهرة المعزية كالكوكب الدري، أي قاهرة أعني....؟"[1]، و مع الزقاق يكاد يعيش في شبه عزلة عما يحدق به، على أنه على رغم ذلك يضج بحياته الخاصة، حياة تتصل بأعماقها بجذور الحياة الشاملة على قدر من أسرار العالم المنطوي. " أذنت الشمس بالمغيب، والتف زقاق المدق في غلالة سمراء من شفق الغروب، زاد من سمرتها عمقا، إنه منحصر بين جدران ثلاثة كالمصيدة له باب على الصنادقية ثم يصعد صعودا في غير انتظام، تحف بجانب منه دكان، قهوة و فرن، و تحف بالجانب الآخر دكان و وكالة ثم ينتهي سريعا ببيتين متلاصقين، يتكون من طابقين ثلاثة" [2]

هذا هو تاريخ الزقاق، و هذه هي حدوده، وتلك ملامحه التي تبدو للمتأمل فيها أنها تنعكس على كل ما فيه، و لا ينبغي أن يغيب عم الانتباه هنا ما للغروب _ الذي بدأ به المؤلف وصف الزقاق _من دلالة عميقة **فالغلالة السمراء**، إذ جعل من هذا الغروب سمة و ملمحا من ملامح الزقاق في هذه البداية التي يلتف فيها الزقاق لم تكن من شفق الغروب فحسب، تل هي صفة ملازمة للزقاق إذ هو منحصر بين ثلاثة جدران كالمصيدة، فلا تكاد تشرق عليه الشمس، والكاتب بعد استرساله في وصف الزقاق و بعض شخصياته يعود ليوضح دلالة المكان فيقول " و كان الزقاق يغرب في الصمت،لولا أن مضت قهوة "كرشة" ترسل أنوارها من مصابيح كهربائية عشش الذباب بأسلاكها"[3].

---

1) نجيب محفوظ، المؤلفات الكاملة، زقاق المدق، ص 644.

2) المرجع نفسه، ص 641.

3) المرجع نفسه، ص645.

و نشير هنا أن الغروب رمز للنهاية، و هذه النهاية ليست فقط ليوم من أيام المدق، ثم أن الزقاق عندما تدب الحياة فيه نرى المصابيح المضيئة و قد عشش الذباب يكاد يغرق في الصمت بأسلاكها، و في هذا دلالة على السكون و الجمود، النهاية، الشؤم و الحزن... كلها ومضات تظهر لنا منذ بداية الرواية، فيبقى هذا الانطباع ملازما لأفكارنا حتى النهاية المأساوية بموت "عباس الحلو".

أما إذا نظرنا إلى الشخصيات لوجدناها لا تظهر إلا من خلال الزقاق، بل إن لكل شخصية ملمح من مكانها أو موقعها في الزقاق ، و هذا يؤكد أن ملامح الزقاق تنعكس على كل ما فيه.

إذا أخذنا بعض الشخصيات نجد **العم كامل** بائع البسبوسة، مرتبط دائما بدكانه الذي لا يفارقه.

أما **عباس الحلو** الحلاق، فهو شاب أنيق مثالي حيث تجد دكانه (صالونه) أنيقا مثله"مرآة و مقعد غير أدوات الفن".

و **الست سنية** لتي بلغت من العمر أرذله، فلا سبيل لها في تحقيق ما تصبو إليه من الزواج بشاب في الثلاثين من عمره، إلا البيت الذي تملكه في الزقاق، فيعود عليها إيجاره بعائد مادي يمكن أن يطمع فيها من لا يهمه إلا المال.

و لا نذكر **المعلمة حسينة** و زوجها **جعدة** إلا مقترنين بفرنهما الذي يقع فيما يلي فرن كرشة، وتتجلى لنا قيمة الامتزاج بين الإنسان و المكان في شخصية **زيطه** صانع العاهات، يقول الكاتب "و على الأرض _ تحت الكوة مباشرة _ كان يوجد شيء مكوم لا يفترق عن أرض المكان قذارة و لونا و رائحة لولا أعضاء و لحم ودم نهبه الحق _ على رغم كل شيء _ في لقب إنسان"[1]

لقد سبق و أشرنا إلى أن الصراع في الرواية يستمد حدته من العلاقات داخل الزقاق، و كمثال على ذلك نجد أن **حميدة** و **حسين كرشة** يمثلان الجانب السلبي في الاتصال بالعالم الخارجي، لأن علاقتهما بالزقاق كانت علاقة نفور و كره و حقد، و كلاهما كانت نهايته السقوط.

أما الوجه الإيجابي فقد كان **عباس الحلو** في العلاقة بالخارج و الاتصال معه فيبرز في تجربته خروجه من الزقاق للعمل و كسب الرزق، لأن علاقته بالزقاق كانت مختلفة، فهو لم يخرج منه و هو كاره له، بل بالعكس، فقد خرج من الزقاق و كأنه مكره على ذلك،

---

1) نجيب محفوظ، المؤلفات الكاملة، زقاق المدق، ص 644.

فهو محب للزقاق و أهله و محبوب منه في المقابل...خرج على نية أن يعود إلى أصله.
و الاتصال بالخارج من نوع آخر في رحلة **السيد رضوان الحسيني** إلى الحج، و ما ذكره الحسيني من أسباب جعلته يقرر أداء هذه الفريضة و كان ذلك يوحي بأن هذه الرحلة هي رحلة تطهيرية للزقاق بأكمله، خاصة و أن **السيد رضوان الحسيني** يمثل الإيمان الصافي و الضمير الحي النابض الناطق في الحي بأكمله.
و هنا إذن و بعد الإشارة إلى كل ما سبق يجوز لنا القول:إن عنصر **المكان** قد احتل لأهميته دورا من أدوار البطولة في هذه الرواية أو ربما البطولة بأكملها.

رابعا: الشخصيات و النماذج الإنسانية :

تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء و المذاهب و الثقافات و الحضارات و الهواجس والطبائع البشرية التي ليست لتنوعها و لا لاختلافها حدود، ونحن بصدد دراسة الشخصيات التي تضمنتها رواية "**زقاق المدق**" **لنجيب محفوظ.** نلحظ بأنه لا يوجد من بين شخصيات هذه الرواية بطل مطلق، فكل شخصياتها بطال يؤثرون في مجرى الأحداث، و إن كان اهتمام الكاتب قد انصب في بعض الأحيان على بعض الشخصيات مثل **حميدة** إلا أن هذا الاهتمام لم يمنحها حق التفرد ببطولة الرواية، فبقي لكل شخصية بطولتها، و من جهة أخرى فإن شخصية **نجيب محفوظ** كما صرح في إحدى المقابلات"هي وليدة ذاكرته و خياله مما يعني كونها ترجمة لشخصيات موجودة بالفعل، و إن لم تكن هذه الترجمة مطابقة تماما لأنها تحورت بحكم تدخل الخيال"[1]

و تكمن أهمية الشخصية عند نجيب محفوظ في توضيح سمات و طبائع و مواقف والسلوكات الاجتماعية، فهذه الشخصيات تم وصفها في ديناميكيتها النفسية و الاجتماعية مما يضفي على الرواية بعدا واقعيا كبيرا حتى غدا زقاق المدق نموذجا مصغرا للمجتمع الإنساني، و على الأقل المجتمع المصري بأكمله. إذ تطالعنا في الرواية نماذج إنسانية لا يكاد يخلو منها مكان أو زمان. و الرواية لم تهمل أي شخصية دون أن تصورها تصويرا كاشفا لكل خفاياها.

فحميدة بنت الزقاق المتمردة، العنيدة، الناقمة على كل ما حولها، و الجميلة الفاتنة التي تأسر ألباب الرجال بجمالها، همها الوحيد الخلاص من الزقاق و من كل ما يرتبط به من فقر و عيشة وضيعة، بل حتى من حياة زوجية هادئة، مهما كان الثمن _ و قد كان غاليا _ و هو شرفها و كرامتها، رغم كل ما كانت تحيط به نفسها من كبرياء و تعال و غرور، قد انجرت خلف ذلك القواد فرج إبراهيم لتسقط عم الطريق في هاوية الرذيلة، و تتحول إلى عاهرة في حانات الإنجليز، ضاربة بعرض الحائط الشاب المخلص "عباس" الذي عاهدته قبل رحيله على الزواج. ولم يخرج من الزقاق إلا وقد قرئت فاتحتهما و ل يخرج منه إلا من أجلها، لوفر لها المال والحياة المترفة التي لم تكن لترضى عنها بدلا.

أما **عباس** لم يسقط كما سقطت **حميدة** لأنه كان نبيلا للغاية، نبيل الخلق، شاب وديع، هادئ

1) روزماري شاهين،قراءات متعددة للشخصية، دار مكتبة الهلال، ط1، 1995،ص 129.

2)

مسالم، لا يريد من الحياة إلا إرضاء محبوبته لتقبل به زوجا، فيبني معها حياة كريمة، بعكس صديقه **حسين كرشة** لدي كان همه الوحيد جمع المال و الحصول على أسرة كثيرة الثراء، و إن كان المقابل خدمة الانجليز وتملقهم، و الانسلاخ عن أصله الذي ينتمي إليه، و هو الزقاق الذي رجع إليه يجر وراءه عبئا ثقيلا هو زوجته و أسرته، و رغم ذلك فقد قبله الزقاق و أواه.

و أما **سليم علوان** فهو نموذج الرجل الثري الذي لا يهمه من الدنيا إلا جمع المال و الربح في التجارة، و السير خلف شهواته و هوى نفسه، حتى لنراه يواظب أكلات معينة تجعله عرضة للهمز و اللمز في الزقاق، دون أن يكترث لصورته أمام الناس، فهو لا يرى في الدنيا سوى نفسه، ولا يهمه أن يدوس على قلوب الناس. و في مقابل

هذه الشخصية نجد العم كامل رجل وديع مسالم ليس له هم في الدنيا إلا اكتساب قوته اليومي و العيش بسلام، و ليس له من حلم أو مقصد، يمكن القول عنه أنه رمز السلبية في المجتمع.

أما بالنسبة للخطابة بصفاتها المعروفة، و هي **أم حميدة** التي لم يكن لها اهتمام إلا بالقيل و القال، و جمع المال و انتهاز أي فرصة، و هي تقضي معظم النهار خارج بيتها غير مبالية بتلك الفتاة التي ربتها كابنة لها...

ويطالعنا في طيات الرواية نموذج الدكتور "**بوشي**" طبيب الأسنان الذي اكتسب لقبه من مرضاه، و الذي يعتمد في تمويل مهنته على الموتى و ما يسرق من أجسادهم بمساعدة **زيطه** صانع العاهات الذي يدين له جميع شحاذي الزقاق بالولاء الكامل، إذ هو صاحب الفضل في امتهانهم لهذه الحرفة و بالتالي فهم ملزمون بدفع مرتبه يوميا دون تذمر أو تأخير.

وهناك أيضا المعلمة **حسنية** الفرانة و زوجها **جعدة** اللذان يعيشان حياة أشبه ما تكون بالمهزلة، إذ لا يمر يوم على نصيبه المقسوم من الضرب و الشتم على مرأى و مسمع من الناس.

و حتى بعض الشخصيات قد نظنها لأول وهلة هامشية، كشخصية الشاعر الذي لم يظهر في الرواية إلا مرة واحدة، مع ابنه، إلا أن هذا الدور الصغير لم يكن هامشيا، فالشيخ (الشاعر) يمثل الأصالة و المجد الغابر الذي لم يعد أحد يتمسك به في حين أنه قد يدل ذلك على تهميش نخبة المجتمع و صفوة الأمة، و هذا ما انعكس على تهميشه في الرواية و جعله من الشخصيات الثانوية.

و نشير في الأخير إلى أن هذه الشخصيات التي تم ذكرها تمثل رموزا أعمق من الظاهر الذي تبدو عليه، فحميدة في سقوطها هي الرمز لمصر بأكملها، و ما كانت عليه من سقوط في فترة الحرب و الاستعمار الانجليزي، أما فرج فهو رمز الساسة الذين يجيدون التملق، والوصول إلى أغراضهم و أطماعهم و لو على حساب الشرف و الفضيلة.

و المعلم كرشة يمثل ماضي الثورة و التغير و الانحدار الذي سارت فيه السياسة، وغيرها من الشخصيات التي ترمز إلى شيء معين و مهم.

و نختم هذه النماذج الرمزية بالشخصية الجمعة للماضي و الحاضر و المستقبل، شخصية الشيخ درويش لمتعلق بحب أهل البيت، الذي يقف ليكون ضميرا موحيا لنا يجري و يكون، و كلماته دائما تعني شيئا آخر خارج حدود الكلمات القاصرة.

تزخر هذه الرواية بتنوع كبير في النماذج الإنسانية، فكل شخصية منها لها أثر بارز و حضور قوي، و رمز للأرض و الوطن و الثورة.

إن نجيب محفوظ قد ارتكز في جزء من وصفه على ذاكرته كما أوردنا سابقا حيث أنه يحفظ الأشخاص الذين عرفهم بالفعل في شبابه و في حارته.

"و لكن الخيال قد لعب دورا هاما في إغمائه للذكريات و ذلك بربطه للأحداث و الطبائع و الشخصيات و سلوكه، و لم يجر الخيال الذي أغنى هذه الطبائع و الذي عكس موقف نجيب محفوظ تجاه هذه الشخصيات و تجاه تشخيصه لواقع هذه الطبائع من قيمتها النفسية"[1]

---

1) ينظر، روزماري شاهين،قراءات متعددة للشخصية، ص 129.

خامسا: **الأبعاد الاجتماعية:**

تصور لنا رواية زقاق المدق لنجيب محفوظ العديد من القضايا الاجتماعية المتشابكة فيما بينها معبرة عن معاناة الشعب المصري أثناء فترة الاستعمار الإنجليزي، لهذا أردنا إبراز بعض لمشاهد و القضايا الاجتماعية المختلفة من بينها قضية الفقر.

يرسم لنا الكاتب مشاهد:

1- **الفقر**: الذي عانى منها المجتمع المصري نتيجة الحرب. و مم هو واضح أن غاية الكاتب من إبراز هذه القضية لفت انتباه رجال الدولة إلى الأوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع بالدرجة الأولى.

ذلك أن الكاتب يشعر بالمسؤولية و بالتزامه كفرد من ذاك المجتمع، يتميز بصوته المسموع لجعلهم يبحثون عن حلول مناسبة للخلاص من معاناة الفقر.

و قد مثل نجيب محفوظ صورة الفقر في روايته بـ"الشحاذ" في تصرفاته و مظاهره، يتسول مع معدمي الحال أمثاله، إلا أن الفرق بينه و بينهم يتمثل في أنه كان يقتسم حصيلة تعبهم من التسول بطريقة غير عادلة، كونه المتسول الأكبر عندهم، و هذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن للفقر سلبيات تضع المرء في مكن أسوء من مكانه الذي هو فيه، إذ هو قادر على تغيير نفسية الإنسان. إلا أن ظاهرة الفقر كانت غالبة على كل أهل الزقاق بسبب الجهل و تمرد و ضغط السلطة السياسية و الاستعمار الانجليزي..

2- **قضية فساد السلوك الاجتماعي:**

أبرز لنا الكاتب السلوك الاجتماعي السيئ في مجتمعه، فقد انتشر مرض الرذيلة في زقاق المدق" و كثر اللصوص و انتشرت المخدرات بين أبناء الزقاق، خاصة أن قهوة "كرشة" قد سهلت لهم حفرة الرذيلة ليقعوا فيها،لكن المعلم كرشة ندم على خيانة كل من أعطاه الثقة من أفراد مجتمعه الجاهل، فتنحى عن سلوكه السيئ ليكسب ثقة الناس مرة أخرى، ذلك أن الانحرافات ظلت مرفوضة في نظر مجتمع الناس.

"و كان الهدف من إثارة هذه القضية، هو إيقاظ الناس خاصة القارئ من غفلته و إطلاعه على مشكلات المجتمع الذي تحيط به من كل جانب، و التي أغفل عنها دون الشعور لذلك و إيقاظه أيضا لإيجاد حل يقلص من هذه القضية حتى تتلاشى شيئا فشيئا"[1]

---

1)رحمة أحمد الحاج عثمان، مجموعة من الدراسات المقارنة، ص 40.

و بمساعدة جميع الأفراد من أسر و معلمين و رجال دين وعلماء و مؤسسات اجتماعية، و بتحقيق هذا الهدف تكون الرواية قد أدت رسالة الحفاظ غلى المسؤولية الاجتماعية الجماعية. وقد سعدهم في هذا التغيير عقيدته الإسلامية و تمسكهم بالدين رغم كل المعاناة و الضغوط التي كان يعاني منها الزقاق و بأخذنا هذا الجانب إلى قضية مهمة هي قضية:

3- **الإرشاد النفسي في المجتمع:**

لقد دعا الإسلام إلى النصح و الإرشاد بين وجعله من الأخلاق التي يحمد عليه صاحبها.

و في الرواية نجد شخصية خيرة تمثلت في رجل الدين الذي درس في الأزهر و لم يتم تعليمه فيه. لكنه اتخذ الدين سبيلا في نصحه للناس، و في تحقيق الخوف من المأساة الاجتماعية لدى الناس الذين كانت حاجتهم للإرشاد النفسي أكثر من حاجتهم للأموال في عيشتهم البائسة، فهم يريدون من خلاله تذوق الطمأنينة و الراحة النفسية ليجذوا بها ملاذا يختبئون تحت ظله بعيدا عن ظلم الحياة معبرا من خلالها على الواقع المر الذي يعاني منه الوطن العربي عامة، و الشعب المصري بشكل خاص.

و رغم تعدد القضايا التي أشار إليها إلا أنه قد ركز على قضية مهمة جدا، غاية في الخطورة، إذا لم يتفطن إليها الفرد العربي فستكون وجهته إلى الهاوية دونما أدنى إدراك منه للطريق الذي يسلكه. ممثلة في قضية "الدعارة" أو"الجنس" و بالرغم من أنه في غالب الأحيان يبدو لنا أن المتضرر الأول و المباشر هو من يقوم بها، إلا أنها في الحقيقة آفة اجتماعية نتائجها سلبية على المجتمع بأسره.

ولهذا أردنا أن نبرز مدى خطورة هذه الظاهرة التي عبر عنها في شخصية "حميدة" التي كاتب النقطة و المحور الأساسي في روايته الاجتماعية "زقاق المدق".

4- ظاهرة الجنس:

الرواية باعتبارها الفن الأدبي الأكثر تعبيرا عم العلاقات الاجتماعية فإنها تختص بالتعبير عن الجنس كحالة إنسانية يقيم جدلا حول نسق المدافع عنه و متحمس لوجوده في الرواية و حجتهم في ذلك أن أبطالها بشر، إذ يشكل الجنس في حياتهم جانبا هاما لا يمكن إغفاله أو تجاوزه خلف ضبابية العيب و الخوف من كشف المسكوت عنه، إذ لا بد من إقتحامه و بالتالي الدخول إلى قدسية أهم حالة نفسية و جسدية تدخل في تشكيل الشخصية البشرية الروائية التي يحرص الروائي على تكوينها المتكامل في روايته، لذلك فإن إغفالها فهو إهمال لأهم مكون في بناء هذه الشخصية. أما النسق الآخر فإنه يصر على التفصيل في عرض الأحداث الجنسية، لما في ذلك من تجاوز للمعتقدات الدينية و العادات والتقاليد، و لما في ذلك من انتهاك لقدسية الخصوصية الفردية للإنسان.

و لا بد من الإشارة أولا إلى أن أي مجتمع حديث يعتبر وليدا لما سبقه من مجتمعات، لذلك يتحتم أن نبحث غي تراثنا قبل أن تبحث عن أزمة الجنس في الرواية العربية الحديثة فهذه الأخيرة قد ورثت الكثير من المقومات المادية و القيم الفكرية القديمة." حينذاك راح الشعراء يصورون العلاقات الإنسانية الناشئة، العلاقات الشاذة و الطبيعية على السواء، و برزت دلالات جديدة للعلاقة الجنسية استمدت مضمونها و محتواها من البيان الحضاري الجديد..."[1] و قد كان هذا الموضوع من المحرمات، حيث أن الأدباء يتصدون له في رواياتهم و قصصهم "بالرغم من أنه محور غني بالتوجهات التي أملت على الكاتب و مادتهم وصاغت أشكالها حيث أنها لا تزداد وعيا و حسب بالدور الاجتماعي و بالقيم الجمالية لأعمال الكتاب و الروائيين و إنما نتعرف تعرفا حميميا على دور الفنون الأدبية ، الإفصاح عن المكبوت و فضح المسكوت عنه من التناقضات الخافية تحت السطح، فالعلاقة بين الرجل و المرأة عنوان كبير لأشكال التقدم والتطور و الكتاب و الروائيون لا يعكسون في رواياتهم مواقف أدبية بل يجسدون رؤى الفئات و الشرائح و الطبقات الاجتماعية التي ينتمون إليها"[2]

أما في الرواية المصرية و بدءا من نجيب محفوظ الذي وظف الجنس بكل أشكاله حيث قال عنه غالي شكري " أحد هؤلاء الذين لم يتخصصوا في موضوع واحد بعينه و إنما أولوا الحياة

---

1)غالي شكري، أزمة الجنس في القصة العربية،دار الشروق،بيروت،ط1، 1991،ص 63.

2)ينظر، غالي شكري،أزمة الجنس في القصة العربية، مقدمة ط4.

العريضة اهتمامهم الأول و من ثم تجيء كافة العلاقات التي يعرض لها ضمن هذا الإطار الشامل لقطاعات مختلفة في وقت واحد"[1]، ولكن بشكل يختبئ وراء التلميح لا التصريح.

إذا اتجهنا إلى روايته "زقاق المدق" نجد "حميدة" هي النموذج المكثف لهذه الظاهرة، إن الشغف بالقوة لغريزة جائعة في باطنها، فهل يتاح لها شفاء أو ارتواء إلا بالثروة ؟."حميدة" فتاة هجر خطيبها دكان الحلاق وسافر إلى الجيش البريطاني ليأتي لها بثمن الشبكة،بعد أن مهد لها "فرج" _ الطريق القصير_ إلى الثراء و الحياة الفاخرة...

"فقد طابت بحياتها نفسها، و أذكت عيناها الفاتنتان ضياء الزهر و الحرية و الرضا والفرج، أم تتحقق أحلامها؟... بلى الثياب و الحلي و الذهب و الرجال المتهافتون آية على ذلك، ناهيك بهذه السطوة السحرية التي دارها المعجبون"[2] .

و ما نلحظه على شخصية "حميدة" أنها تطورت بشكل طبيعي غير شاذ في شكل سلسلة طويلة بدأت بال**عوز** ثم بال**رغبة** و انتهت إلى الطريق القصير نحو الثراء العظمة،رفضت "حميدة" خطبة "عباس الحلو"إذ لمحت ملامح الطريق القصير على يد "فرج" غير أنها اعتبرت فرج نفسه وسيلة لتحقيق أهدافها، و ليس هدفا في ذاته، فحينما اختلى بها لأول مرة و طلب إليها أن تجلس بجنبه إلى الكنبة لم تمانع..."وكانت تتقاسمها في تلك اللحظة مشاعر الميل إلى الرجل الذي تحبه، و أحاسيس التحدي للرجل الذي قد تمنيه لنفسها بأنه قادر على الضحك على ذقنها، واقترب الرجل منها رويدا حتى لاصقها " [3]

وما يثير انتباهنا في هذه الصورة الفنية أنها سمت إلى مستوى الضرورة و الحتمية، أي أننا لا نستطيع أن نفصل بين المقدمات و الرواسب التي تتركها المواقف الجنسية حيث يرتبط المشهد بما سبقه من ظروف،و يتصل بما يليه من أحداث في نسيج عضوي لا يتجزأ من الكائن الإنساني ككل و يومئ بالقيمة الإنسانية التي أرادها الفنان.

---

1) غالي شكري، أزمة الجنس في القصة العربية،ص 76.

2)غالي شكري، أزمة الجنس في القصة العربية، ،ص 102.

3) نجيب محفوظ، المؤلفات الكاملة، زقاق المدق، ص 183.

ملحق:

إن البحث في حياة وشخصية الأديب العربي نجيب محفوظ يقتضي منا التعمق والتوسع في هذه الشخصية البارزة والمهمة في مسار الروايات المصرية خاصة والعربية بشكل عام

1- الطفولة والشباب:

1- ولد نجيب محفوظ في حي الحسين ، تحديدا يوم الاثنين الحادي عشر من ديسمبر من عام ألف وتسعمائة وإحدى عشر وقد قال عن الحسين" وهذا المكان يسكن وجداني ، عندما أسير فيه اشعر بنشوة غريبة جدا أشبه بنشوة العشاق ، كنت اشعر بالحنين إليه لدرجة الألم " [1] وهذا الحنين الذي تحدث عنه نجد انه لن يهدا إلا بالكتابة عنه في انتاجاته الأدبية العديدة .

وقد سمي عند ولادته باسم أشهر طبيب توليد في مصر وهو الدكتور نجيب محفوظ الذي اشرف على ولادته ، ونجيب محفوظ اسم مركب إما والده فهو عبد العزيز إبراهيم وهو اصغر أبناء أسرته وله من الإخوة والأخوات ستة توفاهم الله جميعا ، نشا في عائلة متدينة محافظة وكان أبوه وطنيا متحمسا للزعماء المصريين ، أما أمه فكثيرا ما صحبته في طفولته إلى متحف الآثار المصرية .

كان نجيب محفوظ شديد التعلق بالسينما المصرية في مرحلة مبكرة جدا من طفولته "فكان وهو في الخامسة من عمره يتردد على سينما الكلوب المصري في شارع خان جعفر بيت القاضي والحسين لمشاهدة أفلام رعاة البقر وشارلي شابلن ، كما كانفي شبابه لاعب كرة قد ممتاز" [2] انتقلت أسرته من حي الجمالية بالحسين إلى العباسية حيث قضى فترتي طفولته وشبابه في المنزل رقم تسعة بشارع رضوان شكري، ولم يغادر نجيب محفوظ هذا المكان الأبعد زواجه في الخمسينيات "كانت العباسية الغريبة –التي انتقلنا إليها – عبارة عن بيوت نمطية صغيرة كل بيت من دور واحد وفي خلفيته حديقة صغيرة وبجانب تلك البيوت تمتد الحقول الخضراء حتى المنطقة التي يسمونها الآن بحدائق القبة وكان شارع احمد سعيد المزدحم حاليا خاليا من أي نوع من العمران، وكله عبارة عن أشجار، كنا نعيش كأننا في الريف مع توافر الكهرباء والمياه والمجاري

---

1) رجاء النقاش،صفحات من مذكراته و أضواء جديدة على أدبه و حياته،الأهرام للترجمة و النشر،القاهرة،ط1998،1،ص 13

2) جمال الغيطاني،نجيب محفوظ يتذكر،بيروت،ط1980،1،ص 10.

وكافة الخدمات" [1] هكذا كان يرى نجيب محفوظ الحارة التي ترعرع فيها وعاش فيها ذكريات مليئة بالسعادة والحب والحزن وكل المشاعر الإنسانية التي تكون سببا في نشأة إنسان مليء بالعواطف والأفكار والإبداعات الأدبية والفنية ونجيب محفوظ واحد من هذه الشخصيات.

2) مراحل تعلمه وثقافته الواسعة:

في سنة ألف وتسعمائة وخمسة عشر التحق نجيب محفوظ بكتاب الشيخ (بحيري) ثم تلقى دروسه الأولى في مدرسة الحسينية الابتدائية ، وانتقل في المرحلة الثانوية الى مدرسة فؤاد الأول ، وحصل على شهادة البكلوريا.

لقد بدات قراءات نجيب محفوظ بمطالعته للروايات البوليسية مثل (سنكلير اوجونسون) وغيرها من الروايات التي كان يترجمها حافظ بتصرفه ،ولم تكن في أيامه كتب خاصة الأطفال لذلك كانت هذه الروايات هي بداية قراءاته في أواخر المرحلة الابتدائية وأوائل المرحلة الثانوية .

قرأ نجيب محفوظ للمنفلوطي ومترجمات الأهرام، وهي روايات تاريخية في الأغلب(بولكين، وتشالزجالفيس) وغيرهما.

وقر ا فيما بعد في مرحلة اليقظة ، لطه حسين ، وسلاما موسى والمازني ، وهيكل ، وانظم إليهم بعد فترة توفيق الحكيم ، ويحيى حقي وقرا البيان والتبيين للجاحظ والامالي لأبي علي القالي و العقد الفريد لابن عبد ربه واتجه بعد ذلك لقراءة الشعر وبخاصة أبي العلاء المعري والمتنبي وابن الرومي.

إذا وصلنا إلى الفترة الممتدة مابين ألف وتسعمائة وخمسة وعشرون وبين ألف وتسعمائة وستة وعشرون نجد أن نجيب محفوظ بدأ كتاباته بتأليف الشعر ، وقد كتب بادئ الأمر شعرا موزونا ، وان كانت به بعض الأبيات المكسورة ، وحينما وجد أن الأبيات المكسورة كثية أطلق الشعر وحرره من الوزن.

في سنة ألف وتسعمائة وثمانية وعشرون اتجه إلى كتابة القصة القصيرة وهو طالب في مدرسة (فؤاد الأول) الثانويةّ"[2]

---

1) رجاء النقاش،صفحات من مذكراته و أضواء جديدة على أدبه و حياته، ص 14

2)رجاء النقاش،فى حب نجيب محفوظ،دار الشروق،ط1، 1995،ص 136

إما سنة ألف وتسعمائة وثلاثون، اتجه إلى كتابة المقال وقد نشرت أولى مقالاته " احتضار معتقدات وتولد معتقدات "في أكتوبر في المجلة الجديدة " التي كان يصدرها موسى سلاما.
سنتين بعد ذلك دخل مجال الترجمة حيث نشر له موسى سلامة في أكتوبر المجلة الجديدة أول كتاب مترجم عن "مصر القديمة " لجيمس بيلي، وقد نشرت له قصة قصيرة في مجلة السياسة وذلك في 22يوليووكانت بعنوان "فترة الشباب".
التحق نجيب محفوظ بمعهد الموسيقى العربية، واختار آلة القانون سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وثلاثون وانتظم في حضور الدروس وتعلن النوتة الموسيقية وحفظ عدة يشارف أثناء دراسته بالسنة الثالثة في كلية الآداب قسم الفلسفة.
تخرج من جامعة القاهرة وكان ترتيبه الثاني على الدفعة ، أما عن سبب اختياره لقسم الفلسفة فانه يرجع إلى الأدباء الذين اثروا فيه ، كانوا يمثلون ثورة فكرية أكثر منها أدبية من أمثال :طه حسين ،سلامة موسى ، العقاد.
سجل اسم نجيب محفوظ عقب تخرجه من الجامعة للحصول على درجة الماجستير في موضوع (مفهوم الجمال في الفلسفة الإسلامية بإشراف الشيخ مصطفى عبد الرزاق)ضل يبحث لمدة سنتين ، ثم قطع البحث وهو في منتصف الرسالة ولم يتمكن من إتمامه " إذ أحس أن كل ما يتقدم فيها يزيد من التمزق المؤلم في نفسه فقد كان الأدب والفلسفة يصطرعان داخله"[1]
لقد اتسعت مطالعات نجيب محفوظ في الآداب الأوربية الحديثة ، حيث قرأ الأدب الحديث الواقعي والطبيعي والقصة التحليلية والمغامرات الأدبية الحديثة والواقعية النفسية ...ومن الأدباء الذين قرأ لهم : تشيكوف ، وتور جنيف ومختلف الأدباء الروس أمثال سارتر ،مالور إما الفرنسيين شكسبير ،ويلز ...وهذا ما وسع في ثقافته وتنوعها وقد برز لنا من خلال نتجاته الأدبية الوفيرة والشاملة لكل قضايا المجتمعات وأصبح منبرا لصوت الشعوب العربية .

3. **نتاجاته الأدبية وجوائزه العالمية :**

تعدد الإصدارات الأدبية لنجيب محفوظ على مر سنين متتابعة ابرز فيها كفاءته الأدبية ، وشيوعه الكبير في العالم العربي ، حيث نشرت له سنة ألف وتسعمائة وثلاثون أول مجموعة قصصية بعنوان همس الجنون كما نشر أول رواية له في السنة الموالية وهي **عبث الأقدار** ، ويتذكر كاتبنا الكبير" انه كتب قبلها ثلاثة روايات فنصحه موسى سلامة بان يمزقها فاستجاب له

---

1) رجاء النقاش،صفحات من مذكراته و أضواء جديدة على أدبه و حياته، ص 14

وعندما كتب روايته الرابعة كانت بعنوان حكمة خوفو نشرها موسى سلامة بعد ما طلب تغيير عنوانها إلى عبد الأقدار .

كما حصل على العديد من الجوائز ولكن اهم الجوائز التي تعتبر حدث ثقافي عربي في القرن العشرين والمتمثلة في جائزة نوبل للآداب ، وكان مرشحا معه ثلاثة من أعلام الأدب العالميين، وفي السابع من نوفمبر من عام 1997 منحه الرئيس حسني مبارك قلادة النيل العظمى وهي ارفع وسام في جمهورية مصر العربية، وتلتها درجة الدكتوراه الفخرية للآداب التي منحته إياها جامعة القاهرة"[1] وبهذا الكم الهائل من الجوائز يصح تصنيف الأديب من بين عظماء العالم ومن بين الأدباء الذين كان همهم الوحيد الدفاع عن الوطن والبحث عن الحرية.

---

1) نجيب محفوظ، المؤلفات الكاملة، ص .ل.م

الخاتمة:

بعد هذا الطواف المتمهل مع صور المجتمع المصري في الرواية العربية يصل بنا البحث في النهاية إلى تكوين فهم عام يدفع إلى إمكانية معرفة الطريقة التي نظر من خلالها بعض الأدباء العرب إلى مجتمعهم روائي ملمين بالعديد من النتائج التي أثمرها البحث و أنتجها التحليل و من تلك النتائج ما يلي:

أن هناك علاقة وطيدة بين الرواية و المجتمع، تتمثل تلك العلاقة في أن المجتمع يغذي الرواية بتمثيلاته الواقعية، و أم الرواية تصور تلك التمثيلات و تعيد إنتاجها، ليستهلكها المجتمع و بتأثر بها و كل ذلك من وجهة نظر الأديب و حسب رؤيته التقييمية للمجتمع.

كما تهتم الرواية بتصوير الرواية المجمع منذ فترة مبكرة من عمرها و قد كان تصويرها للمجتمع عن طريق الأديب نابعا من تسجيله و توجيهه للأحداث أكثر من اهتمامهم للطرق الفنية التي يقدم من خلالها تلك الرواية.

و الملاحظ أن الرواية المصرية في تلك الحقبة لم تكن مهتمة بتبيان صور المعتقدات الصحيحة للمجتمع، أي كان تركيزها منصبا على سلبيات المجتمع أكثر من إيجابياته.

وقد ركزت أيضا على المرأة في أغلب الروايات على أنها العنصر المهمل و الضحية التي تعاني قسوة المجتمع، كما بينت لنا الرواية نموذج الأسرة على نحوين: نحو إيجابي تظهر فيه الأسرة متماسكة متعاونة، و آخر تبدو فيه مضطربة، يعيش كل فرد منها حياته المستقلة بأنانية غير مبال بأخيه، و قامت بتصوير البيئة التي كان يعيشها المجتمع المصري بأدق تفاصيلها.

أما بالنسبة لصاحب الرواية فقد كان نجيب محفوظ حياديا في رسمه لملامح الرواية و تصويره لأحداثها و ما نلحظه من الطريقة التي صاغ بها مصائر الشخصيات، و الطرق التي قادها إليها و الزوايا التي نظر إليها أحيانا، دون أن ينفعل أو يصطنع المبالاة.

و لا ننسى أن نذكر أم الأديب قد استعمل اللغة العامية في بعض الحوارات التي وظفها و اللغة الإنجليزية ليبين أثر المستعمر في المجتمع.

هذا، و نشكر الله الكريم، على ما أعان و يسر من إتمام هذا البحث، و نعترف أن الفضل يعود له سبحانه عز وجل . أولا و آخرا، ظاهرا و باطنا، و تسأله أ يغفر لنا زلل القول و خطأ العمل إنه ولي حميد.

و صلى لله على نبينا محمد و على آله وصحبه أجمعين

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

المصادر :

. نجيب محفوظ "المؤلفات الكاملة"

. معجم النقد الأدبي "أحمد مطلوب"

المراجع:

- أحاديث في الأدب 'رشيد الذاودي'
- اتجاهات الرواية العربية 'شفيع النية'
- بحوث في الرواية الجديدة 'ميشال بوتور'
- المصطلح النقدي في التراث لأدبي 'محمد عزام'
- دراسات في الرواية العربية 'محمد فائق'
- في نظرية الأدب' عبد المالك مرتاض'
- فن الرواية 'ميلان كونديرا'
- الرواية التاريخية 'جورج لوكتاش'
- في الرواية العربية 'فاروق خورشيد' (عصر التجميع)
- البحث الأدبي 'شوقي ضيف'
- العنوان و سميوطيقا الاتصال الأدبي 'محمد فكري الجزار'
- براعة الاستهلال في صناعة العنوان 'محمود الهميسي'
- قراءات متعددة للشخصية 'روزماري شاهين'
- أزمة الجنس في الرواية العربية 'غالي شكري'
- نظرية الرواية و تطورها 'جورج لوكتاش'
- قراءات الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير'روجر هيغكل' عن 'صلاح رزة'
- الرواية السياسية، دراسة نقدية ' أحمد محمد عطية'
- الاتجاه القومي في الرواية ' مصطفى عبد الغني'

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ

مدخل.....(1)

الفصل الأول.....

المبحث الأول.....(3)

1) تعريف الرواية .....(4)

2) أقسام الرواية .....(6)

. الرواية التاريخية.....(7)

. الرواية التعبيرية.....(8)

. الرواية الأسطورية.....(9)

. الرواية الاجتماعية .....(11)

3) خصائص الرواية.....(15)

المبحث الثاني .....

1) طبيعة الحياة في عصر نجيب محفوظ.....(16)

2) مواكبة الرواية لتطورات المجتمع .....(18)

الفصل الثاني (النموذج التطبيقي).....(19)

أولا: ملخص الرواية .....(20)

ثانيا: دلالة العنوان.....(22)

ثالثا: دلالة المكان.....(24)

رابعا: الشخصيات و النماذج الإنسانية.....(27)

خامسا: الأبعاد الاجتماعية.....(30)

سادسا: ظاهرة الجنس.....(32)

ملحق.....(34)

. قائمة المصادر و المراجع.....(36)

. خاتمة.....(37)